حباب... وعتاب

«قضى اللهُ أن يبقى في حرِّ «الرياض» اللاهب، وقد سافر جَلُّ أبنائه وأصدقائه...

وحان موعد صلاة عيد الفطر، وكان ينتظر أن يمرَّ به ابنه الكبير ليذهبا لتأديته معاً، ولكنه تأخر فتأثَّر..

وجلس بعدها وحيداً ينظم هذه القصيدة الدامعة، وقد وجَّه خطابها إلى حفيده «عمر بن البراء»، وذكر فيها غربته المرّة بين الألم من أحواله، والأمل بمستقبل أحفاده وأسباطه، وسجل خلالها للتاريخ أسماءهم جميعاً...»:

عمرُ الحبيبُ أتسمعُ ... أترى عيوني تدمعُ؟!
أتحسُّ وَقْدَ همومِ ... شيخ نارها لا تهجعُ؟!
والبونُ بونُ الأرض ما ... بيني وبينك أوسعَ[1]
من إن تلمّ بحال جدِّ ... ك قد جفاه المضجعُ
أمـا أنا فأرى بآ ... مالي... سناك يشعشعُ
وأرى الحسينَ يشدّ آ ... منةً وحسنى ترضعُ
وأرى حذيفةَ شبّ والـ ... ـحسنَ المُحبَّبَ يرتعُ
وأرى الصبايا والشبا ... بَ تفرقُوا وتجمَّعوا

(١) البون: المسافة، البعد.

نُعْمى ونجلا والعُلا ... ورنا ونُورُ ومن وعَوا
من أسرتي ولكل فر ... دٍ في فؤادي موضعُ
وأرى منازلكم بقل ... بي في جَناني تسطعُ
وبريقُ أعينكم بعي ... ني ملءَ غمضي يلمعُ
وأُتابع الأيّامَ.. وال ... أيّامُ عجلى تُسرعُ
وأنا مكاني فيالتشتّ ... تِ والضنى أتوجَّعُ
بين المشارق والمغا ... رب لا أَريمُ موزّعُ[1]
والغربةُ الليلاءُ في ... عُمُري لهيبٌ يلفعُ[2]
في الصبر يخنقُ عَبْرتي ... حيناً وحيناً تهمَعُ[3]
في الصمتِ يجرحه الزفير ... أمدّه وأرجِّعُ
وتنهُّد الحرِّ الأبيِّ ... توسّلٌ وتضرُّعُ
ربّاه أيامي انقضتْ ... فمتى أشدُّ وأشرعُ
وأنا بمُعْتَرك المنا ... يا في الحياةِ مودّعُ[4]
عُمَري وأنت سميُّ جدّ ... كَ واستبان المَهْيَعُ[5]
وأنا وإن بيَ أحسنوا ... ظناً كليلٌ يظلعُ[6]
فالهُّم يطحنني ويو ... ثقُ هِمّتي ويضعضِعُ

(١) أريم: يُقال: مارام يفعل كذا: مازال.
(٢) يلفع: يقال: لفعته النار: أصابه لهيبها.
(٣) تهمعُ: همعت العين: أسالت الدمع. وأهمع الدمع: سال.
(٤) معترك المنايا: رُوي في الحديث: «ما بين الستين والسبعين معترك المنايا».
(٥) المهيع: الطريق.
(٦) يظلع: يعرج في مشيه.

وحـدي أعـاني مـا أعـا ... ـني والحـشـا يتـمـزّعُ
وأظلُّ أرنو للغـيـو ... ـبِ ففي الغيوب المنجعُ
ظُلَمٌ، ولكن بعـد هـ ... ـذا الليل شـمسٌ تطلُعُ
أملي وإن لم يُحْـيـه ... ـعـملي قـويٌّ مُـشـرَعُ
كنْ أنت يا عُمَري مُحقَّ ... ـقَـه وكنْ منْ يَصـدَعُ[1]
كن أنت فـيـمن للجـهـا ... د تأهَّبـوا وتطلَّعـوا
كن أنت والأحـفـاد ... والأسباط مَدّي واهرعوا
كـونوا لدين اللّه درعـاً ... باليـقين تدرَّعـوا
فـالنصـر حق المؤمنيـ ... ـن فـآمنوا وتتلَّعـوا[2]

الرياض:
في غرة شوال ١٤٠٥ هـ

(١) يَصْدَع: صدع بالحق: تكلم به جهاراً.
(٢) تتلعوا: تلع الرجل أو الظبي: أخرج رأسه عما كان فيه.

obeikandl.com